الحشّاشين

رغم أنّ الاسم يُوحي بأصل التسمية إلّا أنّ الأمر كان أخطر من ذلك بكثير.

في أواخر القرن الخامس الهجري مات الخليفة ''المُستنصر'' ولمْ يبايع أحدًا لخلافته، رغم أنّه أبدى رغبته في مُبايعة ابنه «نزار».

كان والي عَكّا حينها «بدر الدين الجمّالي» صاحب سطوة؛ قال البعض أنّه كان الخليفة الفعليّ، حتى أنّه عيّن ابنه «الأفضل» وزيرًا وأقرّ ذلك الخليفة «المستنصر» قبل وفاته.

سعى الوزير «الأفضل» إلى تنصيب «أحمد» الأخ غير الشقيق لـ «نزار»، وذلك عبر حركةٍ هي أقرب إلى انقلابٍ داخل قصر الخلافة.

حمل الخليفة الجديد «أحمد» لقب «المُستعلي بالله»، يُذكر أنّ «أحمد» هو ابن شقيقة الوزير ''الأفضل''.

من هنا بدأ الخِلاف بين الشيعة الإسماعيلية؛ فافترقوا إلى «المُستعلية» و«النزارية».

أسّس أحد مُناصري خِلافة ''نزار'' يُدعى ''حسن الصبّاح''

جماعة أسماها ''الموحدون''، اتّخذ من قلعة ''ألموت''* حِصنًا له، اشتراها من صاحبها بـ ٣٠٠٠ دينار ذهبيّ، كانت القلعة على جبلٍ عالٍ، وليس لها إلّا طريقًا واحدًا ممّا جعلها حصينةً ضد أيّ هجماتٍ؛ كانت هذه القلعة سببًا في بقاء هذه الطائفة مُدّة تُقارِب ٧٠٠ عامٍ[1].

أطلق «حسن الصبّاح» على نفسه لقب «شيخ الجبل»، صار هذا اللقب هو اللقب الرسميّ لرئيس الطائفة من بَعده.

اتّخذ «حسن الصبّاح» طريقةً فريدةً من نوعها في السيطرة على أتباعه وضمان ولائهم؛ اتّخذ وادٍ فسيح بجوار القلعة مقرًا أسماه «الجنة»! كانت ''جنته'' هي تصوّر بشريّ لِما يمُكِن أن يَكون في الجنة التي وَعد الله بها المؤمنين؛ فقد زرع بها أشجار الفاكهة المختلفة وجداول المياه الصافية إلى جانب الحسناوات من كلّ الأجناس والألوان، كان يَقوم بدسّ مُخدّر الحشيش المُكتشَف حديثًا -وقتها- لكلّ مُنتسِبٍ جديد لطائفته، ثمّ ينقِله إلى ''جنته'' الموعودة؛ كان هذا الإجراء كفيلًا بتصديق أتباعه بوعوده أنّ مَن يتبعه جزاؤه الجنة لا محالة.

كان «حسن الصبّاح» صارمًا مع كلّ مَن يُبدي اعتراضًا ولو بسيطًا حتَّى أنَّهُ أعدم اثنين من أبنائه بيده دِلالةً على ذلك.

كان ولاء أتباعه شديدًا، حتى أنه أراد أنْ يُثبِت ذلك أمام

(١) بقايا هذه القلعة توجد حاليًا في إيران.

أحد ضيوفه فأمَر واحدًا من أتباعه أنْ يُلقي بنفسه من فوق الجبل وسيدخل الجنة فورًا؛ أطاع الرجل أمره دون نقاشٍ؛ كانت هذه الواقعة بمثابة إعلانٍ هيمنة وسيطرة «حسن الصبّاح» على أتباعه، وبالتالي تنفيذ أوامره أيًا كانت.

أُطلِق عليهم لقب «الحشّاشين» أوّل مرّةٍ في رسالةٍ لأحد قادة الفاطميين يُحذّر فيها من خطرهم.

ابتكروا أسلوب العمليّات الانتحاريّة في اغتيال المُعارِضين لهم حتى أنّ لقبهم صار مُرادِفًا للقتل غدرًا في اللغات الأوروبية (Assassination).

كان أشهر ضحاياهم هو الوزير «نظام الملك» الذي كان من أشدّ مُعارِضيهم والمُهدِّدين لهم، طالت عمليّاتهم الخليفة «المسترشد» والخليفة «الراشد» والمَلك «كونراد».

فشلت كلّ المُحاولات في الهجوم على القلعة حتى عام ١٢٥٦ ميلاديّة حينما جاء «هولاكو» مَلك المَغول وقَضى عليهم بَعد مذبحةٍ كبيرةٍ، تولّى الظاهر «بيبرس» القضاء على بقاياهم في الشام حتى عام ١٢٧١ ميلاديّة.

أفضل مَن كَتب عنهم -في رأيي- هو الكاتب الفرنسيّ «برنارد لويس» في كتابه «الحشّاشين».